الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الاثنين 22 صفر 1423 هـ 6 مايو 2002 العدد 8560

استراتيجية الأمير عبد الله.. والمعركة السياسية مع إسرائيل

عثمان الرواف

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

لقد تجاوزنا مؤقتا فترة أسابيع العنف والقتل والدمار التي شهدتها منطقة الشرق الاوسط مؤخرا، والتي تضمنت اجتياح القوات الاسرائيلية للمناطق الفلسطينية وقيامها بمذبحة جنين ومحاصرتها لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وغير ذلك من الاحداث الدامية العنيفة. وفي ضوء هذه التجربة المروعة يحتاج العرب الآن أكثر من أي وقت مضى الى تحديد أسس استراتيجية مواجهتهم القادمة مع اسرائيل، فما هي استراتيجية العمل القادمة؟

قد يعتقد البعض ان تحديد هذه الاستراتيجية ينبغي ان يعتمد على موقفي تل ابيب وواشنطن القادمين. فعدم تراجع اسرائيل عن تصلبها الحالي واصرار واشنطن على دعمها المطلق ينبغي ان يدفعا بالعرب الى البحث عن بدائل اخرى غير بديل التسوية السلمية المطروح في الوقت الحاضر. وعلى الرغم من اهمية هذه الرؤية إلا انها تفتقر الى الواقعية السياسية والعسكرية. فالاستراتيجية العربية القادمة ينبغي ان تتبنى الاعتماد على الوسائل السياسية وحدها وذلك بهدف التأثير على مواقف الآخرين. فاسرائيل لن تقوم على الاغلب في اعقاب ضربها للمقاومة الفلسطينية بتقديم اي تنازلات سياسية كبيرة للفلسطينيين. كما انه من المستبعد ان تقوم الادارة الامريكية الحالية من نفسها بالزام اسرائيل بتقديم هذه التنازلات. ولكن تجربة الازمة الاخيرة علمتنا ان القوة الدبلوماسية وليست القوة العسكرية هي مدخلنا الرئيسي وربما الوحيد لتحقيق افضل ما يمكن تحقيقه للشعب الفلسطيني في هذه الحرب غير المتكافئة. فماذا تعلمنا من تجربة الاحداث الاخيرة؟ لقد تعلمنا اولا ان البعد الدولي للقضية الفلسطينية والمتمثل بشكل خاص في دعم واشنطن لاسرائيل هو أهم الابعاد المؤثرة في هذه القضية. وتعلمنا ثانيا انه لا يمكن الاعتماد على اوربا لتحقيق اي مكتسبات حقيقية للعرب ضد اسرائيل. وتعلمنا ثالثا انه لا يمكن تحقيق اي تسوية سلمية معقولة ومقبولة لهذه القضية دون حدوث تغير جذري في الموقف الامريكي. وان حدوث هذا التغيير يتطلب جهودا عربية رسمية وشعبية كبيرة تعتمد على الصبر وعدم اليأس. وربما اخطأ العرب عندما اعتقدوا في السابق ان اوربا سوف تتبنى الدفاع عن القضية الفلسطينية ولن تقبل بقيام اسرائيل بضرب بنية المجتمع الاهلي الفلسطيني، وان اوربا قادرة على التأثير في موقف امريكا المنحاز لاسرائيل وفي وقف العدوان الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني. ولكن تجربة الازمة الاخيرة اوضحت ان اوربا اما غير راغبة او غير قادرة في التأثير الفعلي على الموقف الاسرائيلي والامريكي. فلقد وصل العنف الاسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين الى أشده خلال الاسابيع السابقة. ووصل الامر الى درجة ارتكاب مجزرة جنين، ومحاصرة الكنيسة ومقر رئيس السلطة الفلسطينية، وعلى الرغم من كل ذلك لم تقم اوربا بممارسة اي ضغط فعلي على اسرائيل لوقف عدوانها، كما انها لم تحاول التدخل لدى واشنطن بشكل جدي للحد من انحيازها الكامل لاسرائيل. فعندما كانت ايام الازمة العصيبة في اوجها ذهب وفد وزاري اوربي رفيع المستوى الى اسرائيل وطلب مقابلة الرئيس ياسر عرفات المحاصر في مقر اقامته، ولكن الحكومة الاسرائيلية رفضت الاستجابة للمطلب الاوربي، واكتفى رئيس الوفد الاوربي بالتصريح عندئذ بأن موقف تل ابيب يعكس خطأ كبيرا ترتكبه اسرائيل. وتوقف رد الفعل الاوربي عند هذا الحد. وتلقت اوربا هكذا ببساطة صفعة اهانة شديدة من اسرائيل. وهل من المهم للعرب الآن ان يفهموا سبب هذا التقاعس الاوربي؟ نعم ان هناك اهمية كبيرة لفهم هذا الامر ومعرفة سببه. فهل يعود الموقف الاوربي الى عدم الرغبة في التدخل أم لعدم القدرة على مواجهة امريكا واسرائيل؟ واذا اتضح فعلا ان اوربا عاجزة عن التدخل فهل من الاجدى للعرب اهمال اوربا وتركيز جهودهم على الموقف الامريكي؟ واذا اتضح من ناحية اخرى ان العمليات الانتحارية الفلسطينية ضد المدنيين الاسرائيليين كانت هي السبب وراء تردد اوربا في اتخاذ موقف قوي ضد اسرائيل، فهل يتطلب الامر من الفلسطينيين في هذه الحالة التوقف واعادة النظر في جدوى العمليات الانتحارية وتحديد الايجابيات والسلبيات التي نجمت عنها؟

ان الموقف الامريكي أسوأ بكثير من الموقف الاوربي في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فدعم امريكا المطلق لاسرائيل هو الذي يمكنها من المضي قدما في طغيانها وجبروتها. ولكن ميزة الموقف الامريكي مقارنة بالموقف الاوربي هي اتسامه بالوضوح والصراحة، فامريكا لا تخفي التزامها بدعم اسرائيل المطلق والدفاع عنها. ولكن واشنطن اظهرت بين الفترة والاخرى استعدادها للضغط على اسرائيل في بعض الحالات. وعندما يقع الضغط الامريكي على اسرائيل يكون فعالا ومؤثرا. ولهذا فإن واشنطن سوف تبقى سواء شئنا أم أبينا هي المفتاح الرئيسي لحل مشكلة الصراع العربي - الاسرائيلي ولا يمكن تحقيق اي تقدم ملموس في المسار السلمي دون استخدام هذا المفتاح. ومن المهم للقادة العرب وهم يضعون استراتيجية المرحلة القادمة لمواجهة اسرائيل ان يكثفوا من جهودهم الموجهة نحو واشنطن. ولتكن زيارة الامير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي الاخيرة الى امريكا والنتائج الايجابية التي حققتها هي نقطة انطلاق عربي شامل وجديد نحو واشنطن بهدف التأثير على موقفها تجاه القضية الفلسطينية. فاسرائيل وعلى الرغم من الصداقة الحميمة التي تربطها بواشنطن فإنها تسعى دائما من خلال الزيارات ووسائل الاتصال الاخرى لضمان استمرارية الدعم الامريكي لها وزيادته. لقد علمتنا تجربة ازمة الاسابيع الماضية كما علمتنا قبل ذلك تجربة الهزيمة في عام 1967 وتجربة الانتصار الجزئي في حرب اكتوبر 1973 وتحويله الى هزيمة، علمتنا كل هذه التجارب اضافة الى غموض الموقف الاوربي وعدم امكانية الاعتماد عليه او على الموقفين الروسي والصيني، ان المعركة الحقيقية مع اسرائيل هي معركة سياسية وليست عسكرية، وان ارض هذه المعركة هي امريكا. والسلاح الرئيسي في هذه المعركة هو معرفة

الوسائل التي تمكننا من اختراق المجتمع الامريكي. وان الدول العربية المرشحة لقيادة هذه المعركة هي السعودية ومصر والمغرب والاردن. وكلما زاد عدد القوى العربية والاسلامية المؤمنة بجدوى هذه المعركة والمشاركة بها زادت فرص وامكانات نجاحها. ولقد اثبتت زيارة الامير عبد الله الاخيرة الى امريكا انه بالرغم من الفجوة التي حدثت بين السعودية وامريكا بسبب احداث 11 سبتمبر، إلا ان علاقة المصلحة بين الدولتين سهلت اتفاقهما على وضع اسس مقبولة لمعالجة الازمة الحالية في فلسطين.

Share >> < >
Tweet

بريد طباعة